

البخيلة

المحتويات

٧

٩

٣٥

٧١

تمهيد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

تمهيد

- زمن الرواية: سنة ١٩٠٧
- مكان الرواية: القاهرة
- أشخاص الرواية:

- الست نظيفة: (البخيلة).
- جمال: حفيدها.
- حُسْنَى: خادمتها.
- عبد السلام: طبيب.
- رشاد: سمسار.
- عزيز: من أبناء الذوات.

الفصل الأول

قهوة «جميل» بميدان «لاظ أوغلي»، «جمال» و«رشاد» على مائدة يتحادثان، وآخرون متفرقون، يدخل صبي القهوة بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن، ويقول: هنا سادة، هنا القرفة، هنا الشاي. ثم ينتقل إلى مائدة «جمال» و«رشاد»، ويقول: خُشاف سيدي، والبانزهير لمن؟^١

جمال:

البانزهيرُ لي أنا!

رشاد:

وشيشتي يا مصطفى؟

الصبي:

طلبتها يا سيدي

(يمر بائع جرائد منادياً)

^١ الليمون.

البخيلة

بائع جرائد:

اللوا^٢

رشاد:

اللوا تعال يا ولد

البائع:

اقرؤوا حديث مصطفى^٣ اقرؤوا خروج المعتمد^٤

رشاد:

كرومر؟ خروجه متى؟

البائع:

غداً أو بعد غد

رشاد:

من قال ذاك؟

^٢ جريدة «اللواء» التي أسسها الزعيم مصطفى كامل.

^٣ الزعيم: مصطفى كامل.

^٤ اللورد «كرومر»: المعتمد البريطاني.

البائع (ويمشي):

مصطفى

رشاد:

التفت الأفكار حو ل مصطفى كالكائد

جمال:

وصارت الأخبار عنـ د باعة الجرائد

رشاد:

أمنُ معي بمصطفى كفى تعنُّتُ كفى
والعقلاء؟

جمال:

كلهمو

رشاد:

والأذكياء

جمال:

اشربهموا

البخيلة

رشاد:

ما أنت؟

جمال:

لستُ منهمو
إني أنا مع البلد إن قام قمتُ أو قعدُ
لم يرني فيه أحدُ

(اثنان على مائدة يتحادثان عن جمال)

الأول:

تأمل المُكثِر عن إعجابه بنفسه ينظر في ثيابه
تلفت الطاووس في إهابه

الثاني:

لله ما أظرفه! يا له فتى قد أبدع تعالى شكله
لو كان هذا ولدي ووادي خرجتُ قبل الموت من مالي له

الأول:

من الفتى يا أخي؟

الثاني:

جـمـال هذا الذي يخلف البخيلة
على الدكاكين والضياع والثروة الضخمة الجليله

الفصل الأول

هذا الذي يفترس الأكياسا ولا يرى الأحلام إلا ماسا
فإن صحا شكا لك الإفلاسا
يأخذ من هذا وذاك بالرّبا يُعطى نحاسًا ليردّ ذهبًا
وقبل كل شيء فوق ذا

الأول:

وما يقولون؟

الثاني:

عَجَبُ

الأول:

ماذا؟

الثاني:

بلاطُ بيتها مرگبٌ على الذهبِ

الأول:

وذاك الآخرُ من؟

الثاني:

ذاك من السماسرِ
يبيع كل عامرٍ يصيبه وغامرِ
وكم وكم زوج أو وطلّق من حرائرِ
تلقاه في كل طريـق كالغبارِ السائرِ

البخيلة

من قهوةٍ لبيرةٍ لمنتدىٍ لسامرٍ
ويدفع الشباب في الـ وحوولٍ والمخاطرِ
فمن يدي مسلفٍ إلي يدي مقامرٍ
ومن سموم حانةٍ إلى لُعبٍ عاهرٍ
لا يُبغض الله ولا رسوله من العبادِ كالمرابينِ فثُمَّ

الأول:

أَيُّ رَبًّا يَشْتَرُونَ يَا تُرَى؟

الثاني:

عشرون أو ما فوق ذلك في المائة
انظر إلى السمسار يسحر الفتى وانظر إلى الغلام كيف استحسنة
عندي ألفٌ ما ملكتُ غيرها مَنْ لي بها ألفين إن فاتت سنهُ؟

الأول:

عندك ألف أنت؟

الثاني:

ألفٌ ذهباً

الأول:

تريد تعطيها بفاحش الربا؟
إذن لقد كنت تُرائي يا أخي ولم تكن تقواك إلا كذباً

(جمال يرفع صوته)

جمال:

بالله من ذا الحديث دَعْنَا وانظر معي هذه الكُرْنِبَهُ

(ينظر إلى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم ويقول)

ومن يكون الوجيه؟

رشاد:

هـ _____
مقاول يُكبرون كَسْبَهُ
وكلّ يومٍ عليه نعلٌ
تراكم المال في يديه
وكل يوم عليه نعلٌ
من حية أمس صار قُبَهُ

جمال:

وما فَتَنَ الحَظَّ بالكركدنُّ وما أعجب المال من سِحتته؟

رشاد:

ومن عجبٍ بعد هذا المشيبِ
ورام الزواجِ ببنت النقيبِ؟
بَنَى باثنتين على زوجته
فما قَبَلوه على ثروته

جمال:

وما تلك؟ من هي بنت النقيب؟

رشاد:

فتاةٌ هي البدرُ في ليلته

البخيلة

جمال:

وما بيئتها؟

رشاد:

قَصْرُ آبَائِهَا طَوِيلُ الْعِمَادِ عَرِيضُ الْغَرْفِ

جمال:

وما مألؤها؟

رشاد:

الْقَصْرُ عَنَوَانُهُ أَلَيْسَ الْقَصُورُ رَمُوزَ التَّرَفِ؟

جمال:

وما سمعة البيت؟

رشاد:

مَاذَا تَقُولُ؟ أَمَا فِي قَدِيمِ الْبُيُوتِ الشَّرْفُ؟

جمال:

وَلَمْ أَبْتِ الشَّيْخَ وَهُوَ الْغَنِيُّ؟

رشاد:

وهل كل ما في الزواج المهور؟

الفصل الأول

وهل يملأ التيسُ عينَ المهابةِ؟ وهل تحمل الكركدنُّ القصورَ؟

جمال:

رشاد أهَي حلوَةٌ؟

رشاد:

وذات قصيرٍ، وكَفَى

جمال:

ما ضرَّ لو أنِّي صا هرتُ الغنى والشرفا؟
أتعرف البنتَ يا رشادُ؟

رشاد:

وأعرف الأمَّ يا جمالُ

جمال:

كيف ومن أين؟

رشاد:

لي بـبـي —————
أمِّي كانت إليه تغدو
تِ النقيبِ من نشأتي اتصا
إذ أنا طفلٌ، ولا تزالُ

جمال:

ماذا تَرى رشادُ إن طلبتُها؟ تُرى تَرُدُّني إذا خطبتُها؟

رشاد:

أصغ لي، أنت مثل ما تتمنى «زينب» تجمع الغنى والجمالا

جمال:

الغنى يا رشاد؟ إنك تهذي

رشاد:

أنا أهذي؟

جمال:

أجل، وتخلطُ

رشاد:

لا

لا،

أنت فوق النقيب دخلاً ورِيْعاً بعد حين وأنت أكثرُ مالا
جَدَّةٌ تجعل الحديد على الما لٍ وتحمي الأبوابَ والأقفا لا

جمال:

لكنها يا صديقي أشدُّ مني ومنكا

الفصل الأول

رشاد:

صَبْرًا فَعَمَّا قَلِيلٍ سَيُفْرَجُ اللَّهُ عَنْكَ

جمال:

وجمالي؟

رشاد (ويخرج امرأة):

أفـي جـمـالـك شـكّ؟ خذْ تأملْ، انظره في مرآتي
سوف تَسْبِي فؤاد زَيْنَب

جمال:

من «زيـ؟

ـنب»؟

رشاد:

هذا يا صاحبي اسمُ الفتاةِ

جمال:

رشاد، اسمع، عقدتُ العزمَ فاذ هبْ وأمكِّ فاخطبا لي اليومَ زينبُ

رشاد:

إذن أعطني ليرة من حسابي وبعد غدٍ نلتقي ها هنا

جمال (يناوله الليرة):

قَبِلْتُ فَخْذُ

رشاد (بعد أن ينظر أمامه):

انتظر يا جمالُ
فهذا أخو زينبٍ مقبلاً
بربِّكَ فالحظُّ قد أحسنا
فسر حيث شئتَ، ودعني أنا

(يجلس عزيز فيتقدم إليه رشاد)

رشاد:

عزيزُ؟ مَنْ؟ أهلاً أخي
منذ شهرٍ لم أركُ

عزيز:

رشادُ أنتِ ها هنا؟
مَنْ ذا الذي كان معك؟

رشاد:

انظر إلى ثيابه
انظر إلى حذائه
والبنطلون مُسْتَوٍ
أعزني السَّمْعَ أَعزُ
ولونها كيف اتحد
من النظافة اتقد
لم ينكسر، لم يعقد
عندي لكم شيءٌ يسرُ

عزيز:

ما ذاك؟ هات، ما الخبرُ؟

الفصل الأول

رشاد:

هذا جمالٌ وحيدٌ جدُّه بخيلةٌ يا عزيزُ، جلدُه

عزيز:

وعمرُها يا رشادُ؟

رشاد:

يـرـبـوُ على الثمانين

عزيز:

تلك مُدَّة

والمال؟

رشاد:

ما شئتَ من فدايينِ ومن بيوتٍ ومن دكاكينِ
والذهب الصَّبُّ كلُّ ناحيةٍ في البيتِ، من مُحَيِّاً ومدفونِ

عزيز:

والآن ماذا تبتغي؟

رشاد:

أريدُه لِزِينَا

عزيز:

وكيف؟ هل يقبلها؟

رشاد:

كَلَّمْتَهُ فَمَا أَبِي
فَامَضْ إِلَى أُمَّكَ يَا عَزِيزُ بَلَّغْهَا النَّبَأُ
لَقَدْ وَصَفْتُ الْقَصْرَ لِلدَّ أَبْلِهِ وَصَفًّا عَجَبًا
وَلَمْ أَزَلْ أَطْرِي لَهُ الـ جَدًّا وَأَمْدَحُ الْأَبَا
وَأَنْعَمْتُ الْمَجْدَ الْقَدِيدَ مَ وَأَحْلِي النَّسَبَا
وَقَلْتُ عَنْ أُمَّكَ خَيْبٌ رَاً وَامْتَدَحْتُ زَيْنَبَا

عزيز:

وقد نسيته أنا؟

رشاد:

لا. بل أَطَلْتُ الكَذْبَا

عزيز: وما الذي قلتَ عني؟

رشاد:

قُلْتُ: فَتَى مَا أَفَاقَا
بِاللَّيْلِ يَعْشَى الْمَلَاهِي وَبِالنَّهَارِ السُّبَاقَا
تَسْأَلْنِي عَزِيزُ رَأْيِي

عزيز:

لِمَ لا؟ أَلَسْتَ مِنْذُ زَمَنِ الْمَهْدِ أَحَا؟

رشاد:

أَنْتُمْ عَزِيزُ يَا أَحِي فِي أَزْمَةٍ
الْمَالُ فِيهِ وَحَدُّهُ خَلَاصُكُمْ
وَلَا يَفُكُّ ضَيْقَكُمْ إِلَّا الْغِنَى
لَا بَدَّ مِنْهُ الْيَوْمَ أَوْ لَا فَعْدَا

عزيز:

أَجَلٌ، بَغِيرَ الْمَالِ لَا عَيْشٌ لَنَا
وَكَيْفَ؟ مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ؟ أَفْتِنَا

رشاد:

مِمَّا نَخَوْضُ فِيهِ مِنْذُ سَاعَةٍ
مِنَ الْفَتَى؛ مِنْ مَوْتِ جَدَّةِ الْفَتَى

عزيز:

وَمَا الَّذِي نَصْنَعُ كِي نَصِيدَهُ
لَا بَدَّ مِنْ مَصِيدَةٍ

رشاد:

تَلِكْ أَنْأ

اسْمَعْ أَحِي عَزِيزُ أَنْتُمْ أُسْرَةٌ
قَصْرُكُمْ مِنْ قَدَمِ مُهَدَّمٍ
سَكَنْتُمُوهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا
مَلَأْتُمُوهُ خَدْمًا أَشْدَأْقُهُمْ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَقَدَّمِ وَلَا أَغَا
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَقَدَّمِ وَلَا أَغَا
انظُرْ إِلَى الْقُصُورِ كَيْفَ أَصْبَحَتْ
لَا يُسَأَلُ الْبَوَابُ إِلَّا قَالُ: لَا
احتجب القوم وراء ظلها

عزيز:

كفى رشادُ صِفَةً لبؤسنا، كفى، كفى
ولا تعدُّبٌ مهجتي ولا تهجٌ لي البكا
وامضِ اجتهدُ رشاد في تزويج أختي بالفتى
إذا كان لها أهلا

رشاد:

ولم لا يا أخي؟ لم لا؟
فتى لم يحكهِ الشبّا نٌ هنداُمًا ولا شكلا
ولم يُنكرُ له الإخوا نٌ لا ظرُفًا ولا عقلا
ومن بيتٍ يرى الناس عليه الخيرَ والنُّبلا
أبوه كان إنسانًا

عزيز:

وهذا كله فضلا
عمًا وراء جدِّته

رشاد:

وعن عظيمِ ثروتهُ
يا ليتني في حالتهُ
اسمع عزيزُ يا أخي أنا وأنت لا نرثُ
أملطُ يا رب كما خلقتني راضٍ على قلَّة ما رزقتني

عزيز:

دعنا من الهزل. هلا أخذت في الجدّ ساعة؟
رشادُ أنت صديق ماذا ترى في البضاعة؟
ادخلُ بنا في الجدِّ يا رشاد متى تراه؟

رشاد:

في غدٍ أراه

عزيز:

لم تقل لي عن الفتى، ما أبوه؟

رشاد:

كان فخر الرجال، كان مديرا

(ثم لنفسه)

كان والله يسكعُ الصبح والليل سل إلى كل حانٍةٍ سَكِّيرا

عزيز:

والفتى، كيف شغلُهُ؟

رشاد:

في الدواوينِ

عزيز:

إذَنْ قد نراه يوماً وزيرا

رشاد:

لَمْ لا؟

(ثم لنفسه)

قلْتُها ومن أين أدري؟ ربما صار حاجباً أو خفيرا

(ثم لعزیز)

لا تسلني ما أبوه يا أخي
لا ولا ما شغله؟ ما جاهه؟
بوزيرين تساوي ثروته
أو من الأم وسل ما جدته
في الدواوين ولا ما رتبته
فجمال في غد أو بعده

(بعد لحظة)

وَلَمْ لا وجدته نملّة
وتُدخل في بيتها ما تُصيب
لو انقلبت من جميع الجهات
ترى المال في بيتها في اللحاف
إذا وقفت أو مشت حصلت
ولا يُخرج الدهر ما أدخلت
على القش في فمها ما انقلت
وتحت البلاط وحشوا الشلت

عزيز:

عجبتُ يأتي البخيل المال وهو يرى
وقل ما جاء حراً ماجداً ومشى
أنَّ البخيلَ إليه غيرُ محتاج
إلى الكريم الكثيرِ الهمِّ والحاج

الفصل الأول

آه ما أكثرَ حاجي مَنْ بحاجاتي أناجي؟
أزمنةٌ دُرْتُ فلم أَلْـ سَقَ لها وجهَ انفراج

رشاد:

عزيزُ أنت مفلسٌ

عزيز:

ما شئتَ في ذاك فقلُّ

رشاد:

على البلاط يا عزيزِ زُ كلُّنا ذاك الرجلُ

عزيز:

إذن جمالُ صفةً رابحةً لنا كلينا

رشاد:

قد فهمتَ مأربي
ولستُ أنسى فضلكم عندي ولا ما طوّقتُ أمك أمي وأبي

عزيز:

انهبِ إذن رشادُ فاخطبهُ

الفصل الأول

أنا لو بيع بفلسٍ لم يجد سوقاً جرابي
كلانا رشادٌ على زورقٍ كسيرٍ وموجٍ عنيفٍ شقي
فإن ننجُ بخير المتاع وإلا غرقنا مع الزورقِ

«ثلاثة آخرون جلوس على مائدة بالقهوة»، «أحدهم يقرأ جريدة، والآخران يتحدثان».

الأول:

مَن ذلك المُطلُّ من لحيته كالبغل من وراءِ مِخلَاةِ رنا

الثاني:

تسألُ عن ذاك الذي انحنى على صحيفَةٍ يقرأ وولانا القفا؟

الأول:

أجل، أجل هذا القفا

الثاني:

هذا هو الدكتور

الأول:

مَن؟

الثاني:

عبدُ السلام مُرتضى
يقراً ما صادف من جريدةٍ من سطرها الأول حتى المُنتهى
وتستوي صُحفُ الصباحِ عنده وصُحفُ ظهرنَ من عامٍ مضى
تذاكرُ الدفنِ التي يكتبها في الشهرِ أضعافُ تذاكرِ الدَّوا
وعيبه البخلُ

الأول:

فيه بخلٌ؟

الثاني:

أبخلُ من جارتي نظيفه

الأول:

من يا أخي هذه؟

الثاني:

عجوزٌ
ليس لها في الحياة إلا
حتى لقد صارت حديثَ الحارِ
كلُّهمو يحسدها بمالها
في «الخط» من أسرة شريفه
عبادةُ المالِ من وظيفه
وضحكُ الجارِ وسُخرَ الجاره
ويتمنى حاله كحالها
وهكذا الأنفس في ضلالها

الفصل الأول

الأول:

ما غناها يا أخي؟

الثاني:

أكثرُ هذا الخُطُّ مالا

الأول:

ومن الوارث إن ماتت

الثاني:

فتى يُدعى جمالا

الأول:

وذلك الدكتورُ؟

الثاني:

هـذا «مادرٌ» ° الجوعُ يا أخي ولا الأكلُ معهُ
لقد دعاني للغداء مرَّةً فَقسَّم البيضة بين أربعهُ
وجيءَ بالشواءِ

° أبخل العرب، ويُضرب به المثل في البخل.

الأول: قلّ ماذا جرى؟
الثاني:

أومًا إلى خادمه أن يرفعه
رأى فيه عيبًا وإن لم نجد
على اللحم عيبًا سوى قَلْتِه
فقد كان أنضج لحم رأيتُ
وقد كان كالمسك في نكهته
ومن بخله تُفتحُ القهواتُ
وتُغلقُ، وهو على «شيشته»
ويُمضي بها طرفي ليلته
يُقضي بها طرفي يومه

الأول:

ومرضاه؟

الثاني:

يلقاها في الطرب - ق حينًا، وحينًا على قهوتِه

(غلام يدخل القهوة صائحًا)

الغلام:

أين هو الدكتور؟

أحدهما:

ذاك

الغلام (للدكتور):

سيدي أخي سَقَطُ
تحت الترام

الفصل الأول

الدكتور:

فليكن أو تحت وابور الزلّط
فما الذي أصابه؟

الغلام:

انفلق الرأس

الدكتور:

فقط؟
هيّا ولو أني ما عالجت في الشارع قط

الغلام:

الله في عون الجريد ح منك جراح القطط

الفصل الثاني

(في منزل السيدة نظيفة) «حجرة بها دكة عليها شلثة ومخدات ثلاث –
السيدة نظيفة تلبس جلابية من الشاش الأبيض، ومتعصبة بمنديل، وفي
رجلها القبقاب»

نظيفة (تتكلم وحدها في الحجرة):

وأنا الست نظيفة	منزلي حولي نظيفُ
بكثير من صحيفه	وبلاطي ذاك أنقى
ءٌ وصابونٌ وليفه	كل ما كلّفني ما
لا حريزٌ لا قطيفه	لا بساطٌ لا كليمٌ
خيزُراناتِ الخفيفه	غير هذي الخشبات الـ
نناس أحمالاً كثيفه	ليس بيتي كبيوت الـ
لُقِ والشمس اللطيفه	أنا بيتي في الهواء الطّـ
لديّ من ألف صفّه	ودكتي تلك أغلى
وكان يقطر خفّه	كم مال زوجي عليها
واليوم إذ أنا قفّه	جلستُ فيها عروسًا

(بعد أن ترى «حُسنَى» الخادمة داخلة عليها ويدها شيء)

البخيلة

تعالِي يا ابنتي جيئي بماذا جئتني «حُسْنَى؟»

حُسْنَى:

لقد جئتُ بفنجانٍ

نظيفة:

خُذِيهِ جَرِّبِي البُنَّا
وهذا شُبُكِي^١ هاتي

حُسْنَى:

أجل بالعود^٢ قد جيتُ
وفي الكيس مع الدخا نِ زَنْدَانِ^٣ وكبيريتُ

نظيفة:

سلمتُ حُسْنَى يداك

حُسْنَى:

أنا مولاتي فِداك
والآن هل آخذُ خَرْجَ^٤ النهار

^١ أداة التدخين.

^٢ عود البخور.

^٣ مثنى «زَنْد» وهو ما تقدح به النار.

^٤ ما تخرجه «نظيفة» عادة من مواد لإعداد الطعام.

الفصل الثاني

نظيفة:

امضي خذيه إنه في «الكرار»

حُسنَى:

هَيَّأته سيدتي؟

نظيفة:

أجل

حُسنَى:

وما أخرجتِ لي؟

نظيفة:

رأس من الثوم وخمـ س من صغار البصل

حُسنَى:

والسمن مولاتي تُرى؟

نظيفة:

كأمس، لَمْ أَقُلِّ
أوقية

البخيلة

حُسْنَى:

والأرز؟

نظيفة:

لا يدخلنَّ منزلي
لقد غلا سعرًا ولا يُعجبني السعرُ الغلي

حُسْنَى:

ليتك بالزيت افكرتِ والدقيقِ والعسلُ

نظيفة:

ولمَّ يا حسنى أرا كِ اليومَ عادَكَ الخَبْلُ؟
نسيتِ أنَّ ها هنا وتحت هذي الكنبه
العشراتِ من قديـمِ الكعكِ والغُرْبِيَّة؟

حُسْنَى:

لم أنسُ يا سيدتي

نظيفة:

أنتِ إذنُ مخربَّة؟

حُسْنَى:

قد اشتهيتُ لقمةَ القاضي

نظيفة:

اشتهتكِ عقرَبَهُ
وما الذي اشتريت يا «حُسنَى» لنا من الخَضْرُ؟

حُسنَى:

«الباميا» كأنها الزُّ
مُرْدُ الخامُ الحَجْرُ

نظيفة:

«الباميا»؟ منذ متى هذا الخضارُ قد ظهرُ؟

حُسنَى:

جديدة. قلت: عسى
نادَى المنادونَ عليـ
سيدتي بها تُسَرُّ
ها منذ أسبوعِ عَبْرُ
ترفلُ في شوكتِها
وفي شبابها النَّضْرُ

نظيفة:

أجل لقد أكلتُها
كالذهبِ الإبريزِ والـ
في منزل الشيخ «عمرُ»
ثومُ عليها كالدرُّ

حُسنَى:

واليومَ تأكليها

البخيلة

نظيفة:

أمرٌ من طعم الصَّبْرِ
اشتَرَيْتْ غَالِيَةً مِثْلَ البَوَاكِرِ الأَحْرُ

حُسْنَى:

هدية تلك

نظيفة:

ومِمَّنْ؟

حُسْنَى:

مِنْ قَرِيبٍ لِي حَضْرُ

نظيفة:

مَنْ أَيْنَ جَاءَ؟ وَمَتَى؟

حُسْنَى:

مِنْ الصَّعِيدِ قَدْ بَكَرُ

نظيفة:

وَبِمَ تُرَى جَزَيْتِهِ؟
امضي فتاتي واطبخي
كأنها خَلِيَّةٌ
والثوم فيها لَوْلُؤُ
بِقَبْلَةٍ مُسْتَعَجَلَةٍ؟
«دَقِيَّةٌ» مَكْمَلُهُ
مِنْ عَسَلٍ مَحْمَلُهُ
وهي به مَكْلَلُهُ

الفصل الثاني

والعظم ...

حسنى:

واللحم ...

نظيفة:

احذرني يُتعبني أن أكله

حسنى:

اللحم يا سيدتي في «الباميا» ما أسهله

نظيفة:

«حُسنَى» انظري

حُسنَى:

سيدتي

نظيفة:

على البلاط وسخ

حُسنَى:

الآن أغسلِ البلا طَ ثم أمضي أطبخُ

(تنسل السيدة إلى حجرتها ... يدخل جمال)

البخيلة

جمال:

حُسْنَى

حُسْنَى:

جمالُ سيدي؟

جمال:

أنتِ هنا؟

حُسْنَى:

أنتَ هنا؟

جمال:

ما تصنعين؟

حُسْنَى:

صنعتي الـ يومَ وصنعتي غدا
على البلاط أنحني أغسله كما ترى

جمال:

يا رب لِمَ خلقتَ للـ عذابِ هذه اليَدَا؟

حُسْنَى:

لا..لا عذاب سيدي إني أحب العملا

جمال:

وأين جدتي فيا نِّي لا أراها ها هنا

حُسْنَى:

أظنها مضتْ تصلُّ سي في الخزانة الضحى

جمال:

لله أو للمال يا حُسْنَى ترى؟

حُسْنَى:

كما تشا
ما لي وما تعملُهُ؟ لكلِّ عبد ما نوى

جمال (لنفسه وقد رأى كيسًا على الدكة):

ما ذاك تحتي ... كيسٌ؟
أعامرُ ليت شعري
كيسٌ؟ أجلُّ كيسٌ وحُسـ
بُشرائي، هذا جرابُ
جرايبها أم خرابٌ؟
نبي لا ترى ... لا تسمعُ

(ثم يقبله)

كيس وفيه ذهبُ أَخْذُهُ أم أدعُ؟

(يتركه متردداً)

لا ... لا ... أَلصُّ أنا؟ لا ليت يدي تَنْقَطِعُ

(يتناوله)

لننظرُ ما حوى الكيسُ

(يفتحه ويعد ما فيه)

جنيهان ... ريالان
وهذا فصُّ ياقوتٍ وذي سُبْحَةٍ مَرَجَانِ

(يخرج ما في جيبه)

لننظرُ ما حوى جيبي أقرشان ونصفان؟
حرامٌ شدة البخل حرامٌ طولُ حرمانِي

(يرد نقوده، وينظر إلى الكيس)

فإن مددتُ نحو كيسها اليدا سَرَقْتُ نفسي ما سَرَقْتُ أحدا
ولا أرى سارقَ نفسه اعتدى
لا يا جمالُ ... ما رأى رأيكَ في الناسِ أحدُ
من قال مالُ الوالديـنِ مُستباحٌ للولدِ؟

الفصل الثاني

حُسْنَى (وقد نظرت إليه خلصة فرأته، وهو يسرق):

يا أسفا على جمالٍ ما صنَعُ؟ جاء إلى الكيس مرارًا ورجَعُ
حام عليه برهَةً ثم وقعُ

(لنفسها)

ويحَ جمالَ جَرَوْتُ على الحرام راحَتُهُ
ما كان لَصًّا إنما جَنَّتْ عليه جَدَّتُهُ

جمال (يدس الكيس في جيبه):

ولمَ لا؟ والمال مالي بعدها وإنَّ تصرفت بمالي وحدها
وديعتي حتى تموتَ عندها

(يخرج مسرعًا)

حُسْنَى:

يا أَلْفَ ويلي على جمالٍ انسلَّ كاللصِّ في الظلامِ
الفقر والبخل صيِّراه من ابن بيتٍ إلى «حرامي»
هو لَصٌّ وسارقٌ غيرَ أَنِّي أَحِبُّهُ
حرمته القليلَ من حقِّه ... أينَ ذُنْبُهُ؟
إني بعيني هذه رأيْتُهُ مرددا
لما أَحَسَّ المالَ جُ نَّ وأضاع الرِّشدا
على الضمير والعفا فِ والحجا تعوِّدا
لو ملأْتُ جَدَّتُهُ يديه ما مَدَّ اليدا

(ثم تسمع ضجة فتقول)

قد رن في الحجرة قبقابها صلّت وعاتت من مُصلاها
وما درتُ وهي تصلّي الضحى أنّ جمالاً من ضحاياها

(تدخل السيدة نظيفة بدون أن ترى «حُسنَى») (فتقول حُسنَى لنفسها)

تسرع نحو كيسها لم تَرني ... فلننتظرُ
ماذا تُرى تفعل؟ هل تبكي دماً أم تتحرّجُ؟

نظيفة (لنفسها):

كيسي كان ها هنا من يا تُرى طيّرهُ؟
فيه ريالان وفيه هـ قطعتان من ذهبُ
وضعتهُ هنا وغب حتُّ عنه ... ليت لم أغبُ
كيسي حبيبي أين أن ت؟ كيف ألقاك؟ أجِبْ!
كيسي ... يا رب أعدّ لي كيسي وخذه لي يا رب من إبليس

وكلُّ لص فاجر خسيس

إن عدتَ لي فشمعةٌ للحنفي أو شمعتانُ
قرش يعود لي به من القروش مائتانُ
وشمعةٌ للسيدة توضعُ في مسجدِها
تبيت فيه مُوقدَه بالقرب من مَرقدِها
لا، أنا في فقرٍ إلى شمعةٍ سيدتي «زينبُ» بي عالمهُ
ولم يَرِ الناس ولم يسمعوا سيدةٌ تأخذ من خادمهُ

(ثم بعد أن ترى «حُسنَى»)

الفصل الثاني

نظيفة:

حُسْنَى

حُسْنَى:

مُرِي

نظيفة:

أنتِ هنا؟

حُسْنَى:

أجلُ

نظيفة:

تعالِي اسمعِي
خَلِّي البلاطَ

حُسْنَى:

ما جرى؟

نظيفة:

دعِيه سَاعَةً دَعِي

البخيلة

حُسْنَى:

ماذا جرى سيدتي؟

نظيفة:

ما لم أَكُنْ أَنتَظِرُ
مصيبةً فاجعةً

حُسْنَى:

ماذا دهَى؟ ما الخبرُ؟

نظيفة:

كيسِي كان ها هنا طيِّره المُطَيِّرُ

حُسْنَى:

ما كان فيه؟

نظيفة:

ذهبُ وسُبْحَةٌ وجوهرُ

حُسْنَى:

وهل ظننتِ السوءَ بي سيدتي؟

نظيفة:

أستغفر الله ابنتي أستغفرُ
«حُسنَى» ابنتي خادمتي تسرقني؟ ذلك ما ليس ببالي يخطرُ
في ذمّة الله كييسي عوّضني الله عنه
واللصُّ لا بد يوماً يقتصُّ لي الله منه

حُسنَى:

سيدتي مسرفَةٌ سيدتي مضيعةُ
إن الجرابَ لم يكنْ هذا المكانُ موضعهُ

نظيفة:

اذهبي يا ابنتي عرفتُ غريمي أنت لا تجهلينه فهو منّا

حُسنَى:

مَنْ تُرى؟ مَنْ؟

نظيفة:

سلي ضميرك عنه أنتِ منه ملئتِ قلباً وذهناً

حُسنَى:

مَنْ؟

البخيلة

نظيفة:

جمالُ

حُسْنَى:

ماذا تقولين يا مولاتي؟

نظيفة:

الصدق

حُسْنَى:

بَلْ تَظَنِّينَ ظَنًّا
مَنْ؟ جَمالُ؟ هَذَا مَحالٌ فَظَنِّي بِـي أَنَا السَّوْءَ

نظيفة:

أَنْتِ؟ حاشاكِ «حُسْنَى»

حُسْنَى:

إِذَنْ مَنْ؟ قِطْعَةٌ فِي الْبَيْتِ
مَضَتْ بِالْكَيسِ ظَنَّتُهُ
تِ لِمَا لَمْ تَجِدْ لِحْمًا
هُوَ الْجِلْدُ أَوْ الْعِظْمَا؟

نظيفة (مستضحكة):

امضي اذهبي يا خَبَاثُ
أَوْشَكَتْ تَدْخُلُ الضَّحَى ... الْبَسِي الْفَوْ
يَا نَكْبَةً فِي الْإِنَاثُ
طَّةَ «حُسْنَى» طِيرِي إِلَى الْكَانُونِ
بَابَ دُونَ الْأَنْوَفِ ... دُونَ الْعِيُونِ
وَاحْذَرِي الطَّبَّخَ أَنْ يَشِيْطَ وَسُدِّي الْـ

حُسْنَى:

سیدتی ہا انا ذی
انتظرینی ساعة
زاهبۃ لشانیا
ثم انظری طعامیا

(تخرج)

نظيفة (لنفسها):

قد زهبت لشأنها
«حُسْنَى» اذهبي إني لفي شك وإن
قد سُرِقَ الكيسُ وما من أحدٍ
ولكنني أداريكِ
وكم سيده قِيٌّ
اليوم يوم «الباميا»
أظهرت أنني بكِ جدُّ واثقه
سواكِ في البيت فأنتِ السارقه
فأخفي خبر البئر
دها الخادم بالسرِّ

(جمال يدخل)

مَن؟

جمال:

جدتي.. هذا أنا

نظيفة:

مَن؟ ولدي جمال؟

جمال:

ما صنعَ الزكَّامُ يا جـــــدة؟

نظيفة:

لا يــــزالُ
وأنت ما تصنع يا جمالُ؟ كيف الحالُ؟

جمال:

الحال يا جدَّة زفتُ وقطرانُ

نظيفة:

كيف؟ انقُضَ الجيبُ فيه جنيهانُ

جمال:

أنا؟ جنيهانٍ؟ ومن أين له؟ جيبِي حتى من ريالين خَلا
جـــــدة

نظيفة:

روحي.. تكَلِّمْ ماذا؟ فداكَ البَنونا

جمال:

أقول لكن عديني جدَّة لا تغضبينا

نظيفة:

إِلا النُقودُ فَإِنني حلفتُ أَمسِ يَمينا

جمال:

إِذن امضي كما جئتُ إِذن لا شيءَ يا جدُّه
على أَنِّي لم أَظفرُ بشيءٍ منكِ من مدَّة

نظيفة:

والثلاثون ريالاً؟

جمال:

قد مضى شهرٌ عليها
تلك شمَّتْها يدُ النـ شالِ فانسَلَّتْ إليها

نظيفة:

لا حَرَمَ الله اللصوصَ خيرَكا ما بالهم لا يسرقون غيرَكا
لم تَلقني وتنصرفُ بمالي إِلا وعادتُ قصَّةُ النِّشالِ
كأن مالي ليس بالحلالِ

جمال:

لم أَقلُ مالِكِ يا جـ دَّةُ سُحَّتْ أو حرامُ
فلقد يُسرقُ مالُ الـ هـ والبيتُ الحرامُ

نظيفة:

العينُ يا جمالُ

جمال:

لا تقولي فما إلى مالك من سبيل
لعين حاسدٍ ولا فضولي
مالك في اللحافِ والمنديلِ
مالك في القفّةِ والزنبيلِ
وتحت ماءِ البئرِ في برميلِ

نظيفة:

في البئر؟ إنَّ ذا عجب ماذا تصوغ من كذب؟

(في اضطراب)

جمال لا تنس الأدب

في البئرِ يا ابني؟ هذه ما خطرتُ ببالي
لم لا تقول المالُ قد خبأتُ في سِروالي؟
لكن هبوني قد فعل ستُ ما لكم ومالي؟
ألستُ يا ابني حرّةً بصيرةً بمالي؟
أصنعُ ما شئتُ به أصنعُ ما بدا لي

جمال:

هَوْنِي جدتي عليك فإني لم أنازعكِ هذه الحرّية
خبّي المالَ حيثُ شئتُ من المنـ زلِ في السقفِ أو وراء حنّية

الفصل الثاني

ادفنيه في مطبخ أو كرارٍ أو لحافٍ أو شلتةٍ أو حشيه
أو فواريه في قرارةٍ بئرٍ ذات عمقٍ عن الظنون خفيه
جدتي هذا كثيرٌ ما الثلاثون ريبالا؟
هي يا جدة ليست عند أمثالي مالا
لا يمينًا ملأت يو مًا ولا أغنت شمالا

نظيفة:

عند أمثالك؟

جمال:

إي والله

نظيفة:

ما أنتم رجالا
هي تبني ثروة المرء إذا كانت حلالا
اسمع جمال

جمال:

سامعٌ يا جدتي

نظيفة:

جدك يا بني كان مفلسا

جمال:

مِثْلِي يَا جَدَّةُ؟

نظيفة:

لا يا ولدي بل كان أشقى حالةً وأتعسا
أسَّسَ من شروي نقيِرِ ثروةً

جمال:

لم تذكُري جدَّةُ كيف أسَّسا
ألم يكن سكناه رُبعا دارسا؟ ألم يكن طعامه المدمِّسا؟
ألم يكن على البلاطِ نومُه؟ ألم يُحرِّمُ نَفْسَه أن تلبسا

نظيفة:

وَمَنْ نَبَّاكَ؟ أَوْ مَنْ نَا رَأَى جَدَّكَ عُريانا؟

جمال:

هَبِيهِمْ لَمْ يُنَبُّونِي كَفَانِي بِكَ عَنَوَانَا
جَدَّتِي مَا رَأَيْتُ قَطُّ عَلَى جَسَدِي مِثْلِي
بَدَلِي ثَوْبِكَ الْقَدِيمِ أَهَذَا كَفَنُ يُرْتَدِّي لِيَوْمِ الْحَسَابِ؟
وَعَلَى الرَّأْسِ ذَلِكَ الشَّاشُ وَالْأَوِيَّةُ (يَهْ) مَلَا تَطَاوَلَ الْأَحْقَابِ
قَدْ عَفَا رَقْعَتَيْهِمَا النَّشْرُ وَالطَّيْبُ سِيٌّ وَطَوَّلُ الْمَدَى وَطَوَّلُ الْخِضَابِ
لَمْ يَرِ النَّاضِرُونَ رَجْلِيكَ إِلَّا كَصَبِيِّ الْحَمَّامِ فِي الْقَبْقَابِ

البخيلة

وَأُنذِرُنِي أَيَّتْهَا الْجَدَّةُ أَمْضِي لِسَبِيلِي

نظيفة:

لَقَدْ نَسِيتُ يَا جَمَّا لُوطِيْتُ مَا جَرَى
وَالآنَ أَدْعُوكَ

جمال:

لماذا؟

نظيفة:

لِلْغَدَاءِ، مَا تَرَى؟
أَبَقَ جَمَالُ نَقْتَسِمُ لَوْنًا جَدِيدًا غَالِيًا
أَبَقَ بَنِي كُلِّ مَعِي الْيَوْمَ عِنْدِي «بَامِيَا»

جمال:

«الباميا» جديدة؟ من قال يا جدّتيا؟

نظيفة:

أكلتها؟

جمال:

أجل مرارًا عند أصدقائنا

الفصل الثاني

نظيفة:

في «الباميا» خَلَّ الطها وَخَذَ الطَّوَاهِيَا
وَطَبِخُ «حُسْنَى» يَحْفَظُ الشَّ بَابَ وَالْعَوَافِيَا
اجلسُ جمالُ ساعةً وناجني بحاجتكُ

جمال:

ماذا أقول جدتي؟

نظيفة:

قلْ ما تَشَأْ لجدَّتِكَ

جمال:

أنا يا جدتي كبرتُ ولا أطلبُ إلا الزواج

نظيفة:

عندي صبيَّةٌ لكُ

جمال:

الخدمُ؟ لا، كم قلتُ لا

نظيفة:

لا تَدْعُ «حُسْنَى» خادماً

البخيلة

جمال:

ابنة من؟

نظيفة:

بنتي أنا

جمال:

لقيطة ربيتها أنت، أليس هكذا؟

نظيفة:

تذاكرنا الزواج تعال ننظرُ زواجك كم يكلف يا جمالُ

جمال:

قليلاً جدتي

نظيفة:

كم؟

جمال:

نصف ألفٍ

نظيفة:

أعندك ما لنصف الألفِ بال؟

نظيفة: أُخْرِجْهَا مِنْ مَالِيهِ؟
جمال:

ومئةٌ كِراءَ بيـ
ومئةٌ لَعروسٍ وليه
نملؤه أمتعةً وحليةً وأنيه
ومئةٌ لفرجـي ومئةٌ لجيبه

نظيفة:

واحيرتي! واضيعتي! «جمال» وا خرابيه
إن أنا زوجتك يا ابـ نبي بعث ما ورائيه

جمال:

إذن فاعلمي جدتي أنني خطبتُ

نظيفة:

وما لي ومن تخطبُ؟
أحقاً خطبتَ؟

جمال:

أجل جدتي

نظيفة:

ومن تلك؟ ما بيتها؟ ما الأبُّ؟

جمال:

فتاةٌ من «الخُط» بنت النقيبِ

نظيفة:

بلا والدٍ واسمها «زينبُ»
هنيئاً لك البيتُ بيتُ العفافِ

جمال:

وبيتُ الغنى، والغنى يُطلبُ

نظيفة:

أأنتَ تعرّفُني من تكونِ وما مألها؟ إنها تكذبُ
لأنتَ أسعدُ منها وأنتَ أكثرُ مالا

جمال:

أنا؟ انظري ذاك جيبي هل تُبصرين ريالاً؟

نظيفة:

بل تلك «حُسنَى» فتاتي أتمُّ منها جمالا
وربما صارت على فقرها أكثرَ منها في غدٍ مالا
وكيف وجدتَ المالَ يا ابني؟

البخيلة

جمال:

اقترضتُهُ

نظيفة:

وممن وكم يا ابني وكيف رِباه؟
ومن أين تَقْضِي الدينَ؟

جمال:

يَقْضِيهِ قَادِرٌ عَلَى الشَّيْءِ لَا يَقْضِي الدَّيُونَ سِوَاهُ

نظيفة:

ازعق «جمال» نادِ «حُسْنَى» ادْعُهَا

(ثم تنادي)

يا بنتُ

جمال:

حُسْنَى

نظيفة:

بنتُ

حُسْنَى (تدخل):

مولاتي

نظيفة:

عندي «جمال» يتغذى معي هاتي حديث «الباميا» هاتي

حُسْنَى:

سوف ترى يا سيدي صنعتي وسوف تنسى «كفتة الحاتي»

نظيفة:

حُسْنَى بذلت كثيرا وما رفقت بمالي
أكفتة بيمين وباميا بشمال

حُسْنَى:

سيدتي لا تغضبي لا لحم في الـ مطبخ لا كفتة لا كبابا
العظم لا غير ملأت «الباميا» منه ... فطابت نكهة وطابا

نظيفة:

يسلم فوك يا ابنتي

(ثم لجمال)

اسمع لها «جمال» كيف تحسن الجوابا

جمال:

جدتي هل فَكَّرْتِ في أمرِ «حُسْنَى»؟

نظيفة:

كيف؟ ماذا؟

جمال:

كما افنكرتِ بأمرِي
زَوْجِيهَا

نظيفة:

أزَوْجُ البنتِ؟

حُسْنَى:

لا،
أنتَ يا سيدي «جمالُ» كثير الـ
أنا لا أقبل الزواج بإنسا
أنا ما عشت لا أفارق هذا الـ
سيدي، ذاك لم يَمُرَّ بفكري
مَزْحٍ فاجعلُ مَحَلَّ مزحكِ غيري
ن ولو ساق مالَ قارونَ مهري
بَيْتَ إِلا إِلى قَرَارَةِ قبيري

نظيفة:

عشتِ «حُسْنَى»

(ثم لجمال)

الفصل الثاني

سَمعت كيف أجابت؟ كيف لم تنسَ حناني وبرِّي؟

(وتهم السيدة نظيفة بالوقوف)

جمال:

أين يا جدة تمضينَ

نظيفة:

قريبًا ... خُطوتينُ
أنا قد خبأتُ أمسِ لك يا ابني موزتينُ

(تمشي وتخرج)

جمال (لحسني):

بَعُدتُ جدتي تعالِي أقبُلُكِ تعالِي حبيبتِي قبْليني

حُسْنَى:

بَعُدتُ فليكنْ عفا في وديني
إن أكنْ خادمًا فنفسِي في خِد
حولِ عِرضي لا يُبعِدُ الله ديني
رِ من النبلِ والعفافِ مَصونِ
عو له اليوم من خسيسِ ودونِ
ابغِ يا سيدي سواي لما تد

جمال:

هيا حُسْنَى لا يذهب الوقتُ

حُسْنَى:

دَعْنِي وَتُ مَثَلِي بِجَانِبِ الْكَانُونِ

جمال:

قَبْلَةُ هَا هُنَا عَلَى الْجِيدِ «حُسْنَى» أَوْ عَلَى الْوَجْتَيْنِ أَوْ فِي الْجَبِينِ

حُسْنَى:

مَا الَّذِي قَلَّتْ يَا جَمَالُ؟

جمال:

طَلَبْتُ الْحَقَّ

حُسْنَى:

حَقَّ الْمَهْوُوسِ الْمَجْنُونِ
لَكَ يَا سَيِّدِي جَمَالٌ شَتُونٌ فَاْمَضْ فِيهَا وَخَلَّنِي وَشَتُونِي

جمال:

إِلَى أَيْنَ؟ قَفِي «حُسْنَى»

حُسْنَى:

إِلَى الْكَانُونِ وَالنَّارِ
إِلَى الشَّغْلِ الَّذِي يَنْهَى عَنِ الرِّيْبَةِ وَالْعَارِ

(وتمشي ... السيدة نظيفة تدخل)

الفصل الثاني

نظيفة:

جمالُ يا ابني

جمال:

جدتي

نظيفة (لُحْسَنَى):

مالكِ تَرْجِعِينَا
الموزتان يا جما لُ صارتا عجينا

جمال:

أَلْقِيهِمَا يَا جَدَّتِي أَلْـ حَقِي الْعَفَنَ النَّتِينَا

نظيفة:

اشْرِبْهُمَا يَا ابْنِي عَسَى أَنْ يُورِثَاكَ لِينَا

جمال:

أَنَا يَا جَدَّةَ لَا أَقْـ سَوَى عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ
إِنْ فِي الْبَيْتِ دَجَاجًا فَاطْرَحِيهِ لِلدَّجَاجِ

الفصل الثالث

المنظر الأول

«الست نظيفة على فراش في قاعة من منزلها، وحولها «حُسْنَى» وجماعة جئن للسؤال عنها من الجارات».

زائرة (وهي داخلة): العوافي أمّ الأفندي العوافي
حُسْنَى: اخفِضي الصوت.. أمسكي يا خاله
الزائرة: ما لها؟ ما بها؟ عفا الله عنها
حُسْنَى: هي من ليلتين في شرِّ حاله
زائرة:

من قلبها تحبني	أمُّ الأفندي عوفَيْتُ
على الفقير والغني	ما كان أندى يدها
وللجار وللجارية	شفاها الله للبيت
لِ حتى أغرق الحاره	جرى إحسانها كالسيد
مرّة في «السيدة»	قد وقعت عيني عليها

أخرى: فما رأيت؟

الأولى:

نـخـوـةً وكرماً ما أزيده
جاءت وراحت تُقْرِضُ اللـه هـ وتُعطي مسجده
وكلما مَدَّ فقيـد رُـ يـدُهُ

الثانية:

عـضـت يـده
يا أختُ أين المدحُ العَطرُ؟ وأين جودها الذي كان المطرُ؟

الأولى (لحسنى): انظري خُلفكِ «حُسنَى»

حُسنَى: مَنْ؟

الأولى: هي الشيخة «بنبه»

(الشيخة بنبه تتقدم)

بنبه: كيف حال الهانم اليوم؟

حُسنَى: انظري، الحالةُ صعبه

إحدى الزائرات:

«حُسنَى» اطرِحي الغمَّ ولا تستسلمي إلى الكدرِ

رأيت رؤيا أُمسِ

أخرى: ما ذلك

حُسنَى: خيراً، ما الخبرُ؟

الزائرة:

رأيتني فوق طريد ق فيه طينٌ ومطرٌ

مشتُ به أم جما لِ تَننُنِي وَتَفْتِكِرُ

تحمّلُ جِملَ جِملٍ أو جملين من حَجْرٍ

حُسْنَى: تُم
صاحبة الرؤيا:

إذا فوقَ الطريـ —
كأن نورَ وجهه
قد طرَحَ الأحمالَ عند —
حتى لبثتُ ساعةً
قِ تَمَّ شيخٌ قد ظَهَرَ —
تحت العمامة القمرُ
ها فَجَرَتْ على الأثرُ —
عجبتُ كيف لم تُطِرْ
سمعتُ يا شيخَةَ رؤيَاي؟

الشيخة:

سمعتُ العَجبا
رؤيا كأنها الفَلَقُ
تبارك الذي خلق
أم جمالٍ أُعِينَتْ
وزال عنها العناءُ
وذلك الشيخ قطبُ
على يديه الشفاءُ

أخرى:

أم جمالٍ بخيرٍ قد أُلقيَ الجِملَ عنها

(يظهر الدكتور مقبلاً)

إحدى الزائرات: ماذا؟ من الداخل؟ من يا ترى؟
أخرى: هذا هو الدكتورُ عبدُ السلامِ
الأولى: أبعدَ هذا ... القطبُ يوتى به؟

الثانية: وأَيُّ قطبٍ؟
الأولى: هل نسيتِ المنام؟
أخرى: ماذا تقول؟ تظنُّ هذا القطبُ
الأولى:

ذاك هو العَمَى
هذا الطيبُ مُطْرِبُشُّ والقطبُ كان مُعَمَّمَا
شَتَّانَ بين القمرِ الـ منوَّرِ الملمحِ
وبين تيسِ الجبلِ الـ مفلقلِ المملحِ
ما تلك فوق عينه؟

الثانية:

زجاجةٌ مُدَوَّرَةٌ
تقيه ضوءَ الشمسِ أو تمنعُ عنه الغَبْرَةَ
كأنها غمامةٌ تحجبُ عَيْني بقره

الأولى:

ولِمَ تَغَطِّي بالثيا بِ السوَدِ رأسًا لقدم؟
كأنما أُخْرَجَ من زكيبيةٍ من الفَحَمِ

الثانية:

سود الثيابِ بمصرِ صارت ثيابَ الإمارةِ
فلا تَرَيْنَ بياضًا إلا على شيخِ حاره

الأولى: وما بفيه؟

الثانية: أسألِي حُسْنَى

حُسْنَى: بفيه «توسكنه»

الأولى:

مسكينُ الدكتورُ قد أصبح فوهُ مدخنه

الدكتور: العوافي أم الأفندي العوافي

حُسْنَى: هي في غَشِيَة ونوم عميق

الدكتور: كيف حُسْنَى؟ ما حال أم جمال؟

حُسْنَى: هي في الكربِ خَفَفَ اللهُ عنها

الدكتور: ودوائي؟

حُسْنَى:

لما تعاطتُه نامت

نومةٌ لم تقمُ إلى اليوم منها ما بها يا سيدي؟ ما داؤها؟

الدكتور: تُخْمَةٌ من أكلَةٍ ذاتِ دَسَمٍ

حُسْنَى:

تخمةٌ؟ لا سيدي الدكتور ... لا نحن لا نعرف في البيت التُّخْمُ

الدكتور: إذن بها ضعفٌ

حُسْنَى: ومن أين جاء الضعفُ؟

الدكتور: من قلَّةِ ما تَطْعَمُ

حُسْنَى: وما يقوِّي الضعفَ؟

الدكتور: الأكل يا حُسْنَى

البخيلة

حسنى: وكيف الأكلُ؟ أين الفمُ؟
الدكتور:

رحم الله زوجها إنه كان صاحبي
كان في كل منزل وطريق بجانبى

(ثم ينتقل الدكتور فجأة لمخاطبة إحدى الزائرات)

«خضرة» أنت هنا؟ ما تصنعين يا ابنتي؟

خضرة:

في كل ساعةٍ أجي أسألُ عن سيدتي

الدكتور:

و«حسنٌ» زوجك ما يصنعُ؟

خضرة:

في البيت انطرحُ
منذ تناول العلا جَ بالأواني ما سَرَحُ

الدكتور: وما له لم يَجِئني؟

خضرة: بأيِّ رجلٍ يَجِيكَا؟

الدكتور (إلى مرجانة): ما ذاك يا بيضاء ماذا أرى؟

مرجانة: تورَمَ الخدُّ من الدُمَّلِ

الدكتور (يخرج مشرطاً من جيبه):

هاتي أريه ... اصبري ساعةً أفـتـحـه

مرجانة: لا، يفتحُ الله لي
أخرى: دَعِيه يفعلُ تستريحِي
أخرى: اقْعِدِي حَذَارِ «مرجانة» أن تفعِلي
(يدخل جمال)

الدكتور: من ذاك؟ أنت جمال؟
جمال:

من؟ سيدي الدكتور؟
كيف وجدتِ جدتي؟

الدكتور: تسير نحو العافية
جمال: وكيف هي من ثلاثٍ لم تُفُقْ؟
حُسْنَى:

بل إنها من أربع كما ترى
وارحتماهُ لك يا سيدتي ولطف الله بنا فيما جرى

جمال:

حُسْنَى أَقْلِي الحزنَ ... يعفو الله عن أزيدَ من هذا وَيَشْفِي أكثرَا

الدكتور:

دعَا.. لا تخافا ولا تحزنَا فما الأمر لليأس بالصائر

البخيلة

وكم فاقِدِ الرشدِ لا غائبٍ ورائي تركتُ ... ولا حاضرِ
وأخر لا راقِدٍ في الفراشِ إذا قلبوه ... ولا ساهرِ

حُسْنَى:

أمراضك كلُّهمو هكذا؟ وهل يستفيقون يا سيدي؟

الدكتور:

تقوم عليهم يدي بالشفاء قيامَ المسيحِ على المقعدِ

حُسْنَى (لجمال):

وأنت سيدي جمالٌ قَوْنِي علَّمَنِي العزاءَ والتصبُّرًا

زائرة: «مرجانة» انظريهما

الأخرى: يحبها

الأولى: تحبُّه

الثانية:

وبيديه قلبُها وفي يديها قلبُه

«يخرج جمال، وتخرج مرجانة وبعض الزائرات، وتدخل إحدى الجارات
تدعى زهرة»

زهرة: ما حال أمِّ الأُندي؟

حُسْنَى:

سيدتي في العذابِ مضى عليها أربعُ
في كُربَةٍ لا تُفَرِّجُ سيدتي في العذابِ

في النزع لا وعي لها والسرُّ ليس يخرجُ

زهرة: لديَّ خاطرٌ خطرٌ

حُسْنَى: ما ذاك؟

أخرى: ماذا؟ ما الخبر؟

زهرة:

أصغينَ ... مما جرّبوه في الأسرُ صوتُ «الفلوس» عند رأس المحتَضِرِ
إن كان في دنياه بالبخل اشتهرُ يسمعها فينطفي على الأثرِ
وكلما تأخرتُ عنه انتظرُ

حُسْنَى:

إن قومي أريحها إذن من هذه الحالة

زهرة: وأين الشاشُ والفضة؟

حُسْنَى: من مالي يا خاله

زهرة:

مالكُ أو مالٌ سوا كِ كلُّ مالٍ قد حَضِرُ
القصْدُ أن يَقْرَعَ صَو تُ المالِ سمعَ المحتَضِرُ
«حُسْنَى» اسمعي لي أصغِي هاتي ملاءةَ فرش
والآن فليلق كل منكن فيها بقرش

(ثم لحسنَى)

«حُسْنَى» خذي من طرفٍ

(ثم الأخرى)

البخيلة

وَأَنْتِ مِنْ ذَاكَ الطَّرْفِ

(للجميع)

وَأَنَا أَبْقَى هَا هُنَا

(لصبي موجود)

وَأَنْتِ قُمْ خُذْ لَا تَحْفُ
وَالآنَ فَلْنَقْمُ إِلَى الْفِرَاشِ وَمِثْلَ صُنْعِي فَاصْنَعُوا بِالشَّاشِ

(يدخل جمال)

جمال: ما الحال حُسْنَى؟ وكيف أمست؟
حُسْنَى: في النزاع والكرب لا تزال

«يذهبون بالشاش حتى يقتربوا من فراش المحتضرة، وهم ممسكون بجهاته الأربع، فتخرج الأولى نقودًا وتلقيها في الشاش، فيعمل الباكون مثلها ويتقدم «جمال» فجأة ويخرج من جيوبه نقودًا، ويقول»

جمال:

وَأَنَا أَيْضًا أَشْتَرِكُ هَاكِ خُذِي مَا أَمْتَلِكُ
وَضَعْتُ كُلَّ فَضْتِي كِي تَسْتَرِيحِ جَدْتِي

«يلقي بالنقود» «الأربعة يهزون الشاش بالنقود بينهم، وتقول الأولى مخاطبة المحتضرة»

الأولى:

امضي ولا تُفكّرِي في المالِ وانسي حديثَ القرش والريالِ
أنتِ وما ملكتِ للزوالِ
هزّوا معي ... هزّوا معي يا أيها الروحُ اطلعي
إلى النعيمِ الأوسعِ
وديعة الله اذهبي امضي ولا تُعذّبي
لله عُودي والنّبي

إحدى السيدات (بعد وفاة الجدة):

قد انقضى الأمرُ قد خرج السرُّ
«حُسنَى لك الأجرُ»

حُسنَى (لجمال):

الصبرَ ... واخرج سيدي جمالاً لمثلِ ذا لا يصلحُ الرجالُ

المنظر الثاني

«في منزل المرحومة الست نظيفة. تظهر «حُسنَى» في ثوب أسود».

حُسنَى (لنفسها):

عَيني أحقُّ أني في منزلي؟
غاليتُ في شَغفِ الفؤادِ بحبِّه
أعطيتُه ما كان أصبح في يدي
لم يرضَ قلبي أن أعيش سعيدة
أتراه يقدرُ خدمتي ومحبتي
لا، كان لي فوهبتُه لجمالِ
حتى وهبتُ له الثمينَ الغالي
من مال جدته فليس بمالي
ويعيشُ في بؤسِ ورقة حالِ
أو لا يمرُّ له الصنيعُ ببالِ؟

رحمة الله على سيدتي
 حرمتني الشاش حتى زهبت
 وحمّنتني الماء حتى احتجبت
 صار لي من بعدها منزلها
 ثروة قد نهض الجوع بها
 وهبت لي كل ما قد ملكت
 وسقى الله ثراها وجزاها
 فكسّنتني الخز في الموت يداها
 فسقيت الشهد من فيض نداها
 والدكاكين وآلت ضيعتها
 ومشى الحرمان فيها فبناها
 لم تدع من ذاك شيئاً لفتاها

(بعد لحظة)

لا ... ذاك مال جمال
 وعدت ما كنت من قب
 أجل أنا الخادم والطاهية
 ولا على الناس طفيلية
 سمعت حديث البخل حتى صحبته
 يروح ويغدو بين عيني صورة
 سيدتي وبخلها
 وانتقلت وذكرها
 يرحمها الله فما
 في غضب عند الحوا
 وما اختلّفنا مرة
 لكن لأجل الثوم كما
 ولم نكن من الدقي
 يرحمها الله وإن
 عاشت بثوب واحد
 أمّا أنا ... فالشاش أو
 وبذلتني وفوطتي
 وأجرتي عشرون قر
 تركته لجمال
 ل، فوطتي هي مالي
 وما أنا السارقة الباغية
 أجعل أموالهمو ماليه
 زماناً أراه كل حين وأسمع
 ويأتي حياي بالحياة ويرجع
 في «الخط» سارا كالمثل
 بالبخل فيه ما انتقل
 أنسى لها تلك الجم
 ر واضطراب و«زعل»
 في حمال ولا جمل
 ن الخلف، أو حول البصل
 ق ننتهي ولا العسل
 لم تأت يوماً بحسن
 كالميت عاش بكفن
 ما دون ذاك في الثمن
 طال عليهما الزمن
 شامع كثرة المهن

الفصل الثالث

البئزُّ لا أبرحُها صاعدةً كالِدلوٍ كـ
خارجةً وداخِله طَبَّاخةُ أصنع من
لَّ ساعةٍ ونازله لا شيءَ شيئاً نأكلُه
وأنحني على البلا طِ كلَّ حينٍ أغسلُه
وكلُّ دكانٍ علـ يَ أجرُها أحصلُه

(تدخل زهرة)

زهرة: العوافي يا ابنتي
حُسنَى:

من جاءنا؟ خالتي زهرة؟ أهلاً مرحباً
ادخليني

زهرة (لنفسها في حسد وحقْد):

يا لك من طبَّاخَةٍ نثرَ الحظِّ عليها الذهبا

(ثم لحُسنَى)

يا هَناكِ المالُ حُسنَى

حُسنَى: مال من؟

زهرة (لنفسها): هي تُخفي

حُسنَى: بلُغوكِ الكذِّبا

زهرة:

عَجَباً ... أنتِ إذن لم تَرثِي مال مولاتِك؟

حُسْنَى:

لا. لا. عَجَبًا
أنا يا خالَةَ لستُ لِصَةً لَعَنَ اللهُ الْغِنَى الْمُغْتَصَبَا

زهرة:

إن للجيرانِ «حُسْنَى» ألسُنًا تهذي طوالا

حُسْنَى: ما الذي قالوه؟

زهرة:

قالوا أنتِ جَرَدَتِ جمالا

حُسْنَى:

كذبوا والله لم أَلِ مس له باليدِ مالا

(تخرج «زهرة» وتتبعها «حُسْنَى» ويدخل «جمال». تدخل «حُسْنَى» فترى جمالا)

حُسْنَى: مَنْ ها هنا؟ أهوَ جمال سيدي؟

جمال:

أجل، أنا الغريبُ في بيتِ أبي
أنا الذي قد سلبوه مالهُ لم يبقَ من مالي ما لم أُسَلَبِ
قد ضربتني في الحياةِ جدتي وفي المماتِ

حُسْنَى:

ألف لا، لم تُضْرَبِ
اجلس. تفضل. استرخ. هَوْنٌ عليك سيدي

جمال:

لم يبقَ من مالِكِ يا جَدَّةُ شَيْءٍ في يدي
ضَيَّعْتَ أَمْسِي ثم لم يَكْفِ فُضِيْعَتِ غَدِي
حُسْنَى

حسنى: جمال

جمال: افترقنا

حُسْنَى:

كيف؟ لا أبدا

جمال:

تَغَيَّرَ الأَمْرُ من حالٍ إلى حالٍ
أنتِ الغنيَّةُ «حُسْنَى» والفقير أنا المال مالك منذُ اليوم لا مالي

حُسْنَى:

المالُ يا جمالُ؟ الفقرُ؟ الغنى؟ ماذا تقول سيدي؟ ماذا جرى؟

جمال:

أليس حرماني لونا متقنا طبخته أنت وجدتي معا؟
«حُسْنَى» دَعِيَ الخُبْثُ ولا تَجَاهَلِي

حُسْنَى:

أتعلم الخبثَ عليَّ والرِّيا؟
حُرِّمَتْ مِمَّ؟

جمال: من تراثِ جدتي
حُسْنَى: إذن من الوارث
جمال: أنت لا أنا
حُسْنَى:

أنا أراك سيدي تهزأ بي
أقسمُ هذا الأمرُ لم أعملُ لهُ
كفى جمالُ سَخَرًا مني كفى
وإنني آخِرُ من دَرَى بِهِ

جمال:

أما رأيتِ كاتبًا معممًا
وشيخةً تُملي عليهم سخفها
وشاهدين يعملون ها هنا؟
تَحْرِمُ ذا قُرْبى وتعطي أجنبا
كعينِ ربوةٍ تخطى خيرها
إلى الوهادِ مُستحقَّاتِ الرُّبى

حُسْنَى:

جمالُ سيدي تعالِ نحتكمُ
هَبْ ما تقولِ يا جمالُ قد جرى
إلى الحقوقِ والصوابِ والنُّهى

جمال: لقد جرى
حُسْنَى:

هاتِ الكتابَ فامحُ ما
بَدِّلْ وَغَيِّرْ في كتا
تشاء، واثبتْ ما تَشَأ
بِ وَقِفِها كما ترى
أنتِ غِنَايِ إِنْ غَضِبْ
تَ ما انتفاعي بالغنى؟

الفصل الثالث

أمضي فأبغني سيدًا أو أبغني سيدةً أظهو لها

جمال: ماذا أرى؟ تبكين حُسنِي؟ ممَّ؟

حُسنِي: لا

جمال: كَفَي ابنتي كفي بُكا

حُسنِي:

خُذْ مَالَهَا وَخَلِّنِي أَعِشْ كما كنتُ أَعِشُ أَوْلَا

جمال:

بِحياتي قُولِي الحَقِيقَةَ حُسنِي أَتَحَبِّبِينَ نِزِي؟

حُسنِي: أَجَلْ، مِلْءَ قَلْبِي

جمال: مِثْلَ حُبِّي؟

حُسنِي: جَمالُ أَحَبِّبْتَنِي اليَوْمَ؟

جمال:

قَدِيمٌ وَحَقٌّ عَيْنِيكَ حُبِّي

كنتُ أهواكِ طفلةً تملئَنَ الـ بَيْتَ والحوشِ من صياحِ ووثبِ

كنتُ أهواكِ طفلةً في الكوانينِ نَافخُهُ

كنتُ أهواكِ خادِمًا كنتُ أهواكِ طابخُهُ

(ثم يمسك يدها ويقول)

كم أَشْتَهَيْتُهَا يَدًا ما فرغْتَ من العَمَلِ

كنتُ أراها كَيِّدِ الـ مَلَكَةَ أَهْلًا لِلقُبُلِ

وأشْتَهِي رَائِحَةَ النَّـ ومِ عليها والبَصْلِ

أم علي:

كنتُ رسولَ الصفوِ والـ - يومَ أتيتُ بالكدرِ

جمال: ماذا؟

أم علي:

أصخُ يا سيدي أمُّ العروسِ جُنَّتْ

جمال: كيف؟ ولمَّ أمَّ علي؟

أم علي: تريدُ فسحَ الخِطبةِ

جمال: كذا أنا

أم علي: وأنتِ أيضًا؟

جمال:

تلك كانت نيَّتي

قد سمعتُ لا شكَّ أنَّـ سي قد خَسِرْتُ ثروتِي؟

قد علمتُ بأنني قد حَرَمْتَنِي جدتي؟

أم علي: أجل

جمال:

فقالَت مِفْلَسٌ ليس يليقُ لابنتي

أم علي:

وهذه «الشبكة» يا سيدي انظر. تأمَّل. خاتمٌ لا يُعابُ

وهذه قيمةٌ ما جاءنا من «سَبَتِ» النقلِ وغالي الثيابُ

خمسون خُدْها. عُدِّ. مِنْ عاداتي

الفصل الثالث

جمال (يأخذها): أن تَغْلِي يا خالتي في الحساب

(ثم ينتهي من العد)

أم علي: هي خمسون سيدي

جمال:

هذه خمسة لك

انهبني. لست ناسياً أبداً الدهر فضلك

(تخرج أم علي ثم تدخل حسني)

جمال (بعد أن يراها):

رباه... ما ذاك؟ تلك حسني؟ من أين حسني؟

حسني:

من الستارة

سمعت ما قالت العجوز ولم تفتني لها عبارة

خذ سيدي

جمال: ما ذلكا؟

حسني:

ذلك وقف أسرتك

(تناوله ورقة)

كانت شروط الوقف لي فاستعملت لخدمتك

البخيلة

وما ظننتُ ثروتِي ما كان غيرَ ثروتِكُ
ذاك اتفاقٌ قد جرى بيني وبين جدِّكُ
ما أرصدتُ لجهتي حَوْلَتُهُ لجهتِكُ

جمال:

جدتي في مَمَاتِهَا بَرَّةٌ بي ومحسَنَةٌ
فعلتُ فيَّ فعلَةً نبَّهتني من السَّنَةِ
ساء في المال مذهبي فرأت أن تُحَسِّنَهُ
وأنتِ «حُسنَى» أتحييني؟

حسنى:

أ أنتَ في ذلك ترتابُ؟
قد كنتَ دنيا مغلقاً بابُها دُونِي ... فكيف انفتحَ البابُ؟

جمال:

الآن «حُسنَى» أقبلي نُجِرَ حديثَ ما مضى
كيف وجدتِ جدتي؟ وما مكاني عندها؟

حُسنَى:

تحبُّك الحبَّ الذي كانت تحبُّه ابنها
وتكتسي إن غبتَ عن ها أو بعُدتَ الولها
تكاد لا تسمعُ إن غبتَ ... تكادُ لا ترى

جمال:

فما لها كانت تُذِيبُ قُنِي الجفاء؟ ما لها؟
فلو سألتها العَمَى ضننتُ عليَّ بالعَمَى

حُسْنَى: سيدتي بخيلةٌ

جمال:

أعلمُ يا حُسْنَى بِذَا
وهي إذا قيسَتْ إلى جَدِّي، كالغَيْثِ نَدَى
عَلَّمَهَا جَدِّي ... وكا ن أجمدَ الناسِ يدا

حُسْنَى:

وأنا أيضًا سيدي أُصِبتُ بالبخلِ أنا!

جمال:

حنانِك، ماذا قلتِ «حُسْنَى» أخفَّتيني
أأعداكِ حُسْنَى بُخلُ جَدِّي. إنني
أقدَّرَ رَبِّي أَنْ يطولَ عذابِي؟
إذَنْ من مصابٍ صائرٌ لُمصابِ

حُسْنَى:

لا تَحْشِ بخلي سيدي ... لستُ مَنْ
تبخلُ في حقِّ ولا واجبِ

جمال:

ويحي! أرميك بالبخر
وقد رأيتُ بعيني
فأنتِ أرجعتِ مالي
وقد سمعتُ بأذني
لِ؟ قَبَّحَ اللهُ ظنِّي
وكان قد ضاع مني

البخيلة

فما سوى الله «حُسْنَى» يَقْدِرُ يَجْزِيكَ عَنِي
ستجمعنا الدنيا غداً ... كيف يا تُرى يكونُ طعامي أو يكون شرابي؟

حُسْنَى:

سنشرب الماء في أوانٍ غالية حلوة نضيدة
وبيرة كل ظهر يومٍ وتوضع في الثلج والبرودة

جمال: والأكل؟

حُسْنَى:

ما شئت من شواءٍ ومن دفينٍ ومن عصيدَه

جمال: نسيت «حُسْنَى» ما ليس يُنسى

حُسْنَى: ما ذلك؟

جمال:

«البامية» الجديدة هذه «الشبكة» التي
أرجعتها المغفلة خاتمٌ قد وضعته
في البنانِ المُقبَّله

(يلبسها الخاتم ويقبل يدها)

حُسْنَى: والمهر؟

جمال (يشير إلى النقود المردودة):

تلك هي لك أعطى جمال ما ملك
ما المالُ مهراً للملك

حُسْنَى: ومهرُكَ سيدي؟

جمال:

مَهْرِي؟ تُرَانَا تَزَوِجْنَا عَلَى دِينِ النَّصَارَى؟
دَعِي حُسْنَى الْمِرْزَاحَ

حُسْنَى:

أَقُولُ جِدًّا وَلِمَ تَأْبَى؟ أَتَحْسَبُ ذَاكَ عَارًا؟
وَكَمْ مِنْ مُسْلِمَاتٍ سُقْنَ مَهْرًا وَإِنْ دُعِيَ الْأَبَاعِدَ وَالْعَقَارَا

جمال:

إِذَنْ هَاتِي اذْكَرِي مَهْرِي وَسَمِّيه عَلَى قَدْرِي
فَقَدْ تَعَطَيْنِنِي قَرْشًا وَقَرَشِينَ ... وَمَا أُدْرِي

حُسْنَى:

بَلِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَا جَلٌّ عَنِ الْحَصْرِ
جَمَالُ أَنْزَلْ إِلَى الْبَيْرِ تَجِدْ مَهْرَكَ فِي الْقَعْرِ

جمال: مَهْرِي فِي الْبَيْرِ؟

حُسْنَى: أَجَلُّ

جمال:

كَيْفَ هَوَى؟ كَيْفَ نَزَلَ؟
أَنْزَلُهَا؟ هَذَا حَبَلٌ!

حُسْنَى:

ننزلُ إن شئتَ معاً لكي أريكَ الموضعا
هناك تُبصرُ العَجَبُ

جمال: ما ذاك؟

حُسْنَى:

صُنْدُوقُ حَشَبُ
ممتلئٌ من الذهبِ

جمال:

هناك الذهبُ الحلُوُ إذن طِيري بنا طِيري
قبلتُ المهرَ يا حُسْنَى إلى البيرِ إلى البيرِ